**طرق حماية الشباب من الفتن**

المقدمة: محاضرة بكلية العلوم بجامعة الإمام 22/7/1438ه

إن الحمد لله . . . أما بعد.

فإن من المراحل المهمة في حياة الإنسان، مرحلةَ الشباب، فهي مرحلة القوة البدنية، والتوقدِ الذهني، والهمةِ العالية، وهي نعمة عظيمة يُسأل عنها العبد يوم القيامة؛ لقول النبي : " لا تزولا قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع " ، وذكر منها " وعن شبابه فيم أبلاه".

والشباب هم منارات الغد، وعدة المستقبل، فلا بد من العناية بهم وتوجيههم بما يعود عليهم وعلى أمتهم بالنفع العاجل، خاصة مع كثرة الفتن المضلة في هذا الزمان، والصوارف الصادة لهم عن الحق، وبذل الأعداء وسعهم في إضلال شباب المسلمين وإبعادهم عن دينهم وعزهم : قال سبحانه : (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً).

والنبي أهتم بأمر الشباب، ووجههم إلى ما فيه الخيرُ لهم، ورغبهم في عبادة ربهم، والتمسكِ بشرعة، فقال في الحديث المشهور المتفق على صحته : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" ، وذكر منهم : ( وشاب نشأ في عبادة الله) كما حث النبي أمته إلى اغتنام مرحلة الشباب فيما يقرب إلى طاعة الله تعالى فقال: ( اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ) رواه الحاكم .

ونادى النبي الشباب قائلاً لهم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج – و الباءة هي مؤونة النكاح وتكاليفه – فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ".

انتقل بعد هذه المقدمة إلى **تعريف الفتن:**

قال ابن فارس: ((فَتَنَ) الْفَاءُ وَالتَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ)

وقال النووي: (قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَصْلُ الْفِتْنَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الِابْتِلَاءُ وَالِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ)([[1]](#footnote-2)).

**والمراد بالفتن في هذه المحاضرة:**

ما يشمل فتن الشهوات وفتن الشبهات.

أما فتن الشهوات فهذه يكون الحق فيها معلوما للمرء لكنه يفتتن ويتبع هواه، كما هو الحال في الفتن المتعلقة بالنساء أو بالمال ونحو ذلك.

وأما فتن الشبهات فهي التي يلتبس فيها الحق بالباطل، فلا يعلم المرء أين يكون الحق، وهذا الشبهات قد تكون في العقائد وقد تكون في غيرها.

لكن جرى إطلاق كثير من أهل العلم الفتن على ما يكون من هرج وقتل بين المسلمين، ينتج عنه سفك الدماء بغير حق، وحصول الفوضى والفساد العريض.

وهذا هو المقصود بفتن الشبهات في هذه المحاضرة.

**وردت كثير من النصوص الشرعية في التحذير من الفتن:**

فمن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعلمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾[الأنفال:25]

فأمر جل وعلا باتقاء الفتنة والحذر منها وبين أنها سبب للعذاب المهلك للجميع، فهي تعم الصالح والطالح، تعم مرتكب المعصية، والراضي بها، والتارك لإنكارها وتغييرها مع قدرته على ذلك، فالفتنة إذا نزلت عمت.

**وفي الصحيحين** من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي استيقظ من نومه محمراً وجهه وهو يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه". [زاد مسلم وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها] قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث".

**وكثرة الفتن** من علامات قيام الساعة ففي البخاري قال : "يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله أيما هو؟ قال: القتل القتل".

وفي رواية: " بين يدي الساعة لأيَّاماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم .....".

رواه الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله : (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار)"([[2]](#footnote-3)).

الشاهد من الحديث: (**وتظهر الفتن)** يعني تكثر وتشتهر.

فدل ذلك على أن آخر الزمان تكثر فيه الفتن بأنواعها.

**ومما ورد في التحذير من الفتن**، حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ» متفق عليه

(مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا) أَيْ تَطَلَّعَ لَهَا بِأَنْ يَتَصَدَّى وَيَتَعَرَّضَ لَهَا وَلَا يُعْرِضُ عَنْهَا.

(تَسْتَشْرِفُهُ) أَيْ تُهْلِكُهُ بِأَنْ يُشْرِفَ مِنْهَا عَلَى الْهَلَاكِ

(فَلْيَعُذْ بِهِ) أي من وجد مكانا يعتصم به من شر الفتن فليلجا إليه.

**طرق حماية الشباب من فتن الشهوات:**

في هذا الزمان انفتحت أبواب فتن الشهوات على كثير من الناس، وعظم خطرها خاصة على الشباب.

والشهوات التي يفتتن بها الناس كثيرة، اقتصر منها على فتنتين عظيمتين، وهما فتنة المال، وفتنة النساء.

أما فتنة المال، فقد افتتن فئام من الناس به، فتجد بعضهم لا يبالي في كسبه للمال، هل هو من حلال أو حرام، وهذا مصداق قوله : (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء أمن حلال أكل أم من حرام)

ومن طرق الحماية من هذه الفتنة استحضار محاسبة الله تعالى لعبده على المال، ففي الحديث: (لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع) وذكر منها: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه)

أيضا من طرق الحماية من الافتتان بالمال الحرام، استحضار وعيد الله تعالى لمن يأكل المال الحرام، قال : (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به)

وليعلم المرء أن الله تعالى قد تكفل برزق عباده، فلا يعجل بأخذ رزقه بطريق حرام، فإنه لو تأنى وصبر وبذل الأسباب المباحة والمشروعة لجاءه الرزق من الله تعالى، فإن الله عز وجل يقول: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)

وأما فتنة النساء، فإنها تكون بالنظر إليهن ومواقعة الحرام معن، وهي فتنة عظيمة وقع فيها كثير من الناس خاصة الشباب، يقول الله تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) فبدأ جل وعلا بفتنة النساء.

وقَالَ َتَعَالَى : (وخُلقَ الإنسَانُ ضَعِيفَاً) قال طَاوسُ بنُ كيسَانَ رَحِمَهُ الله تَعَالَى في تفسير هذه الآية: "أيْ: (ضَعِيفَاً في أمرِ النِّسَاءِ) وقال وكيع رحمه الله تعالى: يذهب عقله عندهن. وفي هذا المعنى يقول النبي : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)

وحذرنا النبي من فتنة النساء فقال: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ) متفق عليه.

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ قَالَ:( إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ) رواه مسلم.

وإذا تبين عظم خطر النساء على المرء، فإن من طرق الحماية من فتنتهن، غضَ البصرِ عنهن وكفَه عن النظر إليهن.

يقول الله جل وعلا: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون}. ففي هذه الآية أمر للمؤمنين بغض أبصارهم عن الحرام، وحفظ فروجهم عما لا يحل لهم، وتأمل، كيف قدَّم الله غض البصر على حفظ الفرج، وما ذاك، إلا لأن غض البصر وسيلة إلى تحصين الفرج، وإطلاق النظر إلى الحرام طريق إلى الزنا، وموصل إلى الفجور والخنا.

ومن الآيات الواردة في حفظ البصر قولُه تَعَالَى : (إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)

ومن غض بصره عن الحرام فإنه يثاب عند الله ثوابا عظيما، فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترى أعينهم النار عين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله) رواه الطبراني. – قال الألباني في صحيح الترغيب برقم 1231 : حسن لغيره.

ولا يخفى أن النظر متى ما وقع على الحرام وجب صرفه عنه مباشرة، فإن النظرة الأولى معفو عنها، فعن جرير - رضي الله عنه - قَالَ : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نَظَرِ الفَجْأَةِ فَقَالَ : ((اصْرِفْ بَصَرَكَ )) . رواه مسلم .

وعَنِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَلِىٍّ رضي الله عنه « يَا عَلِىُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ ». رواه أبو داود 2151 ش وأحمد 1369 وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وحسنه الألباني.

وأكثر فساد القلب من النظر إلى الحرام، فمن غض بصره سلم له قلبه، ومن أطلق بصره في المحرمات صار من الهالكين. واعلم أيها الشاب أن البصر نعمة من الله تعالى أنعم بها عليك، فلا تعصه بنعمته فتنظر إلى ما حرم عليك، فإنه لو شاء لسلبك هذه النعمة، وعاقبك بالعمى جزاء وفاقاً.

فعلى المسلم خاصة الشاب أن يجاهد نفسه في غض بصره عن الحرام، فإننا في زمان فتنة وابتلاء، قد فتحت علينا أبواب الغواية، وكثرت طرق الضلالة، وابتلي الناس – إلا من عصم الله تعالى - بالنظر إلى النساء أو صورهن في وسائل الإعلام المختلفة أو عبر المواقع الإلكترونية، أو من خلال الهاتف الجوال.

ولا ينجينا من هذا البلاء إلا استحضار عظمة الله تعالى في القلب، وأنه سبحانه مطلع على عبده، لا تخفى عليه خافيه، فمهما استتر المرء عن الناس فإنه الله تعالى معه بعلمه وبصره، (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) ولقد أحسن من قال:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

ومن طرق الحماية من فتنة النساء عدمُ الخلوة بالمرأة الأجنبية لقوله : (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما).

ومن طرق الحماية من الفتنة بالنساء عدم الاختلاط بهن على وجه يكون فيه ريبة وفتنة، لقوله صلى الله عليه وسلم :" خير صفوف الرجال أولها وشرها أخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها " رواه مسلم، وما ذاك إلا للمباعدة بين الرجال والنساء حتى في أطهر البقاع وهي المساجد، فكيف بغيرها.

**طرق حماية الشباب من فتن الشبهات:**

قبل ذكر هذه الطرق أشير إلى الأسباب المؤدية إلى الوقوع في فتن الشبهات، فمن هذه الأسباب:

1. انتشار المعاصي والذنوب وجرأة الناس على المحرمات، والتي أعظمها الشرك بالله تعالى والكفرُ به، والابتداع في الدين، واقتراف كبائر الذنوب وصغائرِها، فإن ظهور المعاصي سبب لحصول الفتن التي ينشأ عنها الهلاك والدمار، كما قال سبحانه: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)

ومن شؤم المعاصي أن العقوبة بسببها تعم جميع الناس حتى الصالحين منهم، فتكون هذه العقوبة تطهيراً للصالحين، وعقوبة للعاصين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله عز وجل بأهل الأرض بأسه) قلت: يا رسول الله وفيهم أهل طاعته؟ قال: (نعم، ثم يصيرون إلى رحمة الله) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم 7194 ش وقال الألباني في الصحيحة برقم 1372: إسناده ظاهر الصحة.

1. ومن أسباب وقوع الفتن ترك الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، فمتى ما تهاون الناس في هذه الشعيرة العظيمة عمتهم العقوبة، ونزل بهم البلاء، فعن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (إن الله عز و جل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد بسند حسن. فتح الباري لابن حجر 13/4
2. ومن أسباب وقوع الفتن حصول الظلم بين العباد، قال ابن جماعة رحمه الله تعالى: (وقد اتفقت شرائع الأنبياء وآراء الحكماء والعقلاء، أن العدل سبب لنمو البركات ومزيد الخيرات ، وأن الظلم والجور سبب لخراب الممالك ، واقتحام المهالك ولا شك عندهم في ذلك). تحرير الأحكام ص70 شاملة
3. من أسباب وقوع الفتن ذكر عيوب ولاة الأمر علانية، ونشرُ أخطائهم بين الناس والوقيعةُ في أعراضهم وسبهم وشتمُهم في مجالس الناس ومجامعهم، أو إذاعة ذلك عبر وسائل الإعلام أو الاتصال الحديثة، كل ذلك محرم، وسبب عظيم من أسباب وقوع الفتن.

عن زياد بن كُسَيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر([[3]](#footnote-4))، وهو يخطب، وعليه ثياب رِقَاق([[4]](#footnote-5))، فقال أبو بلال([[5]](#footnote-6)): انظروا إلى أميرنا، يلبس ثياب الفساق! فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله يقول: (من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله)([[6]](#footnote-7)).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث:(وإهانة السلطان لها عدة صور:

منها أن يَسخَر بأوامر السلطان، فإذا أمر بشيء قال: انظروا ماذا يقول؟.

ومنها: إذا فعل السلطان شيئاً لا يراه هذا الإنسان قال: انظروا انظروا ماذا يفعل؟ يريد أن يُهوِّن أمر السلطان على الناس؛ لأنه إذا هون أمر السلطان على الناس استهانوا به، ولم يمتثلوا أمره، ولم يجتنبوا نهيه.

ولهذا فإن الذي يهين السلطان بنشر معايبه بين الناس وذمِّه والتشنيع عليه والتشهير به يكون عُرضة لأن يُهينَه الله عز وجل؛ لأنه إذا أهان السلطان بمثل هذه الأمور تمرد الناس عليه، فعصوه، وحينئذ يكون هذا سبب شر، فيُهينه الله عز وجل، . . .)([[7]](#footnote-8)).

والطعن في ولي الأمر والقدحُ فيه سبب ووسيلة للخروج عليه بالسلاح، والوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن الخروج عليه بالسلاح حرام فوسيلته كذلك.

قال أنس رضي الله عنه: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب"رواه ابن أبي عاصم في السنة.

قال الحافظ: (ثُمَّ إِنَّ قَتْلَ عُثْمَانَ كَانَ أَشَدَّ أَسْبَابِهِ الطَّعْنُ عَلَى أُمَرَائِهِ، ثُمَّ عَلَيْهِ بِتَوْلِيَتِهِ لَهُمْ). الفتح.

1. من أسباب وقوع الفتن الإنكار العلني على ولاة الأمور في غيبتهم.

عن عياض غَنْم قال قال رسول الله : (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ) رواه أحمد([[8]](#footnote-9)).

قال السندي رحمه الله تعالى ((من أراد ان ينصح لسلطان): أي: نصيحة السلطان ينبغي أن تكون في السر، لا بين الخلق)([[9]](#footnote-10)).

و**عن شقيق عن أسامة** بن زيد - رضي الله عنه – قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمَه. فقال: أَتُرَون أني لا أكلمه إلا أُسْمِعُكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه)([[10]](#footnote-11)).

كما أن قوله: (ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه) يدل على أن الإنكار على الولاة علانية سبب لفتح باب الفتنة، وكل ما كان سبباً إلى الفتنة فلا شك في تحريمه، والله أعلم.

**عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،** قَالَ: قَلَت لاِبْنِ عَبَّاسٍ: آمُرُ إمامي بِالْمَعْرُوفِ؟ قَالَ: إِنْ خشيت أَنْ يَقْتُلَك فَلاَ، فَإِنْ كُنْتَ ولاَ بُدَّ فَاعِلاً فَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. وزاد أبو عوانة: ولا تَغْتَبْ إمامك([[11]](#footnote-12)).

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (إن لم يكن يتمكن نصح السلطان فالصبر والدعاء، فإنهم كانوا ينهون عن سب الأمراء) ثم ساق هذا الأثر بإسناده([[12]](#footnote-13)).

1. اتباع الهوى وفساد القصد:

قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾[ص:26]

فالهوى يعمي ويصم ويجعل صاحبه يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

7- الغلو:

قال : "إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم".

8- اتباع المتشابه من الأدلة، والاستقلال بالفهم، دون الرجوع لفهم الراسخين من سلف الأمة.

فعند حلول الفتن والمشتبهات لا يبينها بياناً شافياً إلا الراسخون في العلم.

9- التعجل وعدم الصبر:

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾[الروم:60]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (يحملونك على الخفة والطيش بعد الصبر)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن صغارها وكبارها رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه".

ومن ذلك عدم الصبر على جور الولاة واستئثارهم بالخيرات دون الرعية:

عن ابن مسعود ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ» البخاري

قال ابن حجر: وَالْمُرَادُ أَنَّ طَوَاعِيَّتَهُمْ لِمَنْ يَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى إيصالهم حُقُوقِهِمْ بَلْ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةُ وَلَوْ مَنَعَهُمْ حَقَّهُمْ.

وأما قول بعض الناس الناس إنه لا تجب علينا طاعة ولاة الأمور إلا إذا استقاموا استقامة تامة فهذا خطأ بيّن، ليس من الشرع في شيء، ولمخالفته لما تقدم من الأدلة.

**طرق انعقاد الولاية:**

1-الاستخلاف: فقد استخلف أبو بكر عمر بعده رضي الله عنهما.

2–اختيار أهل الحل والعقد: لأن عمر جعل الأمر شورى في الستة من كبار الصحابة ثم اختاروا عثمان .

3-التغلب على البلد، بحيث يتغلب والي على بلد بالقهر والغلبة وتستتب له الأمور، وهذا طريق صحيح في الولاية بالإجماع.

قَالَ بن بَطَّالٍ في شرحه للبخاري 10/8: (فى هذه الأحاديث حجة فى ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء).

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» البخاري

قال الشيخ ابن عثيمين معلقا على هذا الحديث: (وبهذا نعرف خطأ ما يكون من بعض الإخوة يبايعون واحد منهم على السمع والطاعة فيجعلونه كالأمير والمطاع ، فإن هذا بدعة في دين الله من وجه ، ونوع من الخروج عن سلطة السلطان من وجه آخر) .

**الخروج على قسمين:**

1. خروج فعلي: وهذا يكون بالخروج بالسيف.
2. خروج قولين وهذا يمكن تقسيمه إلى:
3. خروج قولي صريح، كالذي يحرض الناس على الخروج على الوالي صراحة.
4. وخروج قولي غير صريح، كالذي يذكر عيوب الوالي ويسبه، وينكر عليهم علنا، فهذا فعله يؤدي إلى إيغار الصدور على الوالي وكراهية الرعية له، مما يكون سببا في الخروج عليه، وإن لم يأمر الناس بالخروج عليه صراحة.

والسمع والطاعة لولي الأمر من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من أطاعني فقد أطاع الله و من عصاني فقد عصى الله و من أطاع أميري (وفي رواية لمسلم) ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني." أخرجه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله:" وأما الخروج عليهم [يعني الولاة] وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فَسقَة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ماذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق. قال العلماء : وسبب عدم العزل و تحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثرَ منها في بقائه."

**طرق حماية الشباب من فتن الشبهات:**

إذا عرفنا الأسباب التي توقع في الفتن، فإنه لا بد للمسلم عموما وللشاب خصوصا الذي يرجو النجاة من هذه الفتن أن يسلك الطرق التي تعصمه منها، ومن أعظم هذه الطرق للحماية من الفتن:

1. الاعتصام بالكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وتحكيمهما على الآراء والأهواء، يحقق للمسلم النجاة من كل بلاء وفتنة.

قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقال عليه الصلاة والسلام: (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود.

ومما دل عليه الكتاب والسنة السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية

فعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- (أسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم) رواه مسلم، والمعنى أن الله تعالى حمّل الولاة وأوجب عليهم العدل بين الناس فإذا لم يقيموه أثموا. وحمّل الرعية السمع والطاعة لهم في غير معصية، فإن قاموا بذلك أثيبوا عليه و إلا أثموا.

1. أن على المسلم الابتعادَ عن مواطن الفتن، والهربَ منها مهما أمكنه ذلك، وعدمَ السعيِ فيها بقول أو فعل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، - أي أعلاها - ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن) رواه البخاري. وعن **عِمْرَانَ** بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهْوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ». رواه أبو داود برقم 4321 وصححه الألباني.
2. الحذر في أوقات الفتن من الإشاعات الكاذبة، والأخبار الباطلة، التي يروجها مثيرو الفتنة، وأصحاب المقاصد الخبيثة، فالواجب التثبت فيما ينقل ويشاع بين الناس، فإنه كما قال : (بئس مطية الرجل زعموا) (وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)

7 8

1. لزوم تقوى الله تعالى، باتباع أمره واجتناب نهيه، ، فإن في تقوى الله تعالى مخرجاً من الفتن، ونجاةً من المحن، (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) أي مخرجاً من كل ضيق وبلاء.

وحري بالمسلم أن يكثر من العبادة في أوقات الفتن، من صلاة وصدقة وصيام، وذكر لله جل وعلا، وطلبٍ للعلم النافع، وغير ذلك من أنواع العبادات؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرَض من الدنيا) رواه مسلم،

بل إن العبادة في أوقات الفتن لها فضل عظيم، يعدل فضل الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (عبادة في الهرج – يعني وقت القتل والفتن - كهجرة إليَّ) رواه مسلم.

1. ومن طرق الحماية من الفتن الرجوعُ إلى العلماء الراسخين من أهل السنة والجماعة، والأخذُ بأقوالهم، عملاً بقوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقد روى ابن حبان وغيره وصححه الألباني وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله : "البركة مع أكابركم".

ففي أوقات الفتن، تشتبه الأمور، ويلتبس الحق بالباطل عند كثير من الناس، فوجب رد الأمر إلى العلماء، ولا يؤخذ فيها بقول طالب علم ولا داعية، بل لا يعول فيها إلا على أقوال الكبار من أهل العلم والبصيرة، يقول المولى جل شأنه: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) والمراد بأولي الأمر هنا: أولو الرأي والعلم والعقل.

1. تحلي المسلمِ بالصبر، والاستعانة به في الأمور كلها، خاصة عند حلول الفتن؛ لقول الله جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) فبالصبر تدرأ بإذن الله تعالى كثير من الفتن، وتطفأ نارها، وإذا انعدم الصبر اشتعلت الفتن.

**عن الزبير ابن عدي** قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (إنكم ستلقون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) متفق عليه،

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في خضم فتنة خلق القرآن: (عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، وتسفكوا دماءكم ودماءهم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر، ويُستراح من فاجر)

ومما ينافي الصبر في أوقات الفتن ما يعرف بالمظاهرات، التي يقوم بها بعض الناس مطالبين بالإصلاح، ورفع الظلم عنهم، فإن هذه الوسيلة وإن زعم القائمون بها أنها من وسائل الإصلاح فإنها وسيلة محرمة؛ لما يترتب على هذه المظاهرات من إراقة للدماء المعصومة، وإتلاف للأموال المحترمة، وحصول الفوضى، ولهذا أفتى جمع من علمائنا الكبار بتحريم المظاهرات، كالشيخين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وإنما يكون الإصلاح بالطرق المشروعة من المناصحة للمسؤولين ومكاتبتهم ونحو ذلك مما لا يترتب عليه فساد وفتنة.

1. من طرق الحماية بإذن الله تعالى من الفتن، الاتصاف بالحلم والأناة والرفق، وعدم التعجل والتسرع في معالجة الأمور، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله، الحِلم والأناة) رواه مسلم، والحلم: هو العقل، والأناة: هي التثبت وترك العجلة، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب الرفق في الأمر كله) متفق عليه، وفي أوقات الفتن يكون الناس أحوج ما يكونون إلى الحلم والعقل، والرفق والتأني، والتبصر في الأمور، والنظر في العواقب، وأما العجلة والتسرع فإنها مظنة الفساد والشر العظيم، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (الأناة من الله، والعجلة من الشيطان) رواه الترمذي.
2. من طرق الحماية من الفتن الإكثار في أوقات الفتن من دعاء الله جل وعلا، والتعوذِ به سبحانه من الفتن، ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: (تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون) رواه الترمذي.
3. الاجتماع ونبذ الفرقة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ مِّنۡهَاۗ ١٠٣﴾[آل عمران:103]

وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم ثلاثاً قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال".

وروى الإمام أحمد وابن أبي عاصم في السنة ([[13]](#footnote-14)) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله : "الجماعة رحمة والفرقة عذاب". قال الألباني إسناده حسن.([[14]](#footnote-15))

وفي حديث حذيفة عن الفتن قال: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» البخاري

وعن ابن سيرين قال: لما قتل عثمان، رضى الله عنه، أتيت أبا مسعود الأنصارى، فسألته عن الفتنة، فقال: عليك بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، والجماعة حبل الله، وإن الذى تكرهون من الجماعة هو خير من الذى تحبون من الفرقة.

**هذه بعض الطرق لحماية المسلم عموما والشباب خصوصا من الفتن.**

وأختم هذه المحاضرة بتذكير نفسي وإخواني بما أنعم الله به علينا في هذه البلاد المباركة من نعمة الأمن والأمان، فنحن ننعم بولاية إسلامية وتآلف بين الراعي والرعية، واجتماع للكلمة واتحاد للصف، فيجب علينا شكر هذه النعمة العظيمة، امتثالا لقول الله تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)

وقال سبحانه ممتنا على عبادة بنعمة الأمن: (أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) وقال سبحانه: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)

وروى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"من أصبح منكم آمناً في سربه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" .

ولما أكمل إبراهيم الخليل عليه السلام بناء البيت دعى ربه قائلا : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) فبدأ عليه السلام بسؤال الأمن ، وثنَّى بالرزق لأن الأمن أساس الرزق ، والطريقُ إلى تحصيله ، ولو حصل رزق بلا أمن ، لم يهنأ الإنسان به ، ولم يتنعم فيه.

ومن أعظم أسباب الأمن وجود السلطان في البلاد، فبه تتحصل كثير من المصالح، وتندفع به كثير من الشرور، ويندحر به أهل الباطل، وتُؤَمَّن به الطرق، ويعم بسببه الرخاء، حتى وإن كان هذا السلطان ظالما، أو فاجرا، أو مستأثرا بالأموال دون الناس، فإنه كما قيل: إمام ظلوم غشوم، خير من فتنة تدون.

وقال بعضهم: ستون سنة من إمام جائر، أصلح من ليلة بلا سلطان. وقال بعض الحكماء : جور السلطان أربعين سنة خير من رعية مهملة ساعة واحدة .

وقال بعض العلماء في تفسير قوله سبحانه: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) قيل في معناه: لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض يدفع القوي عن الضعيف ، وينصف المظلوم من ظالمه ؛ لتواثب الناس بعضهم على بعض. تحرير الأحكام لابن جماعة ص49.

والله أسأل أن يعيذنا وجميع المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ علينا ديننا وأمننا وإيماننا وأن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يحفظ شباب المسلمين من كل فتنة وبلاء، وأن يجعلهم قرة عين لولديهم وذخرا لأمتهم، وأن يعصهم من مضلات الفتن، إن ربي سميع مجيب، وصلى وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

1. () شرح مسلم 2/170، 171. [↑](#footnote-ref-2)
2. () صححه الألباني(2/272). [↑](#footnote-ref-3)
3. () هو عبد الله بن عامر بن ربيعة العبسي، كان أميراً على البصرة. انظر: عارضة الأحوذي (9/51). [↑](#footnote-ref-4)
4. () أي رقيقة رفيعة. انظر: مرقاة المفاتيح (7/249). [↑](#footnote-ref-5)
5. () هو مرداس بن أُديَّة، من رؤوس الخوارج. قاله ابن عساكر في تأريخ دمشق (29/255). [↑](#footnote-ref-6)
6. () أخرجه الترمذي برقم (2224) وابن عساكر في تأريخ دمشق (29/254، 255) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2/245) وأخرجه أحمد برقم (20433) (34/79) بلفظ: (مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بدون ذكر القصة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (5/388): ورجال أحمد ثقات. [↑](#footnote-ref-7)
7. () شرح رياض الصالحين (3/673). [↑](#footnote-ref-8)
8. () أخرجه أحمد (24/49) برقم (15333) والبخاري في التأريخ الكبير (7/18، 19) وابن أبي عاصم في السنة برقم (1096) و (1097) و (1098)والطبراني في المعجم الكبير (17/367) وابن عدي في الكامل (5/118) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (4/2162، 2163) والحاكم في المستدرك (3/329) برقم (5269) والبيهقي في السنن الكبرى (8/283) برقم (16660) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: (5/413) تحت باب النصيحة للأئمة وكيفيتها، ثم قال: (رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أني لم أجد لشريح من عياض وهشام سماعا وإن كان تابعيا). ثم ذكر نحوه عن جبير بن نفير أن عياض بن غنم فذكره ثم قال: (ورجاله ثقات وإسناده متصل). وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ص523 بعدما تكلم على طرقه: (فالحديث صحيح بمجموع طرقه) واحتج به الشوكاني في السيل الجرار (4/527) وكذا احتج به سماحة الشيخ ابن باز كما في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (8/211) وقال محققو المسند: صحيح لغيره دون قوله: (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر . . .) فحسن لغيره. ثم قالوا بعد إيراد طرقه: وبمجموع هذه الطرق يشتد الحديث ويتقوى. وانظر: معاملة الحكام ص143- 151 فقد أطال في الكلام على أسانيده. [↑](#footnote-ref-9)
9. () حاشية مسند الإمام أحمد (8/238). [↑](#footnote-ref-10)
10. () أخرجه البخاري برقم (7098) ومسلم برقم (2989) واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-11)
11. () أخرجه سعيد بن منصور (4/1657) برقم (846) وابن أبي شيبة (7/470) برقم (37296) والبيهقي في شعب الإيمان (10/73) برقم (7186) واللفظ لسعيد بن منصور، وقال د. سعد آل حميِّد في تحقيقه لسنن سعيد بن منصور: سنده حسن لذاته. [↑](#footnote-ref-12)
12. () انظر: التمهيد (21/287). [↑](#footnote-ref-13)
13. () (93) [↑](#footnote-ref-14)
14. () انظر الصحيحة برقم (667). [↑](#footnote-ref-15)